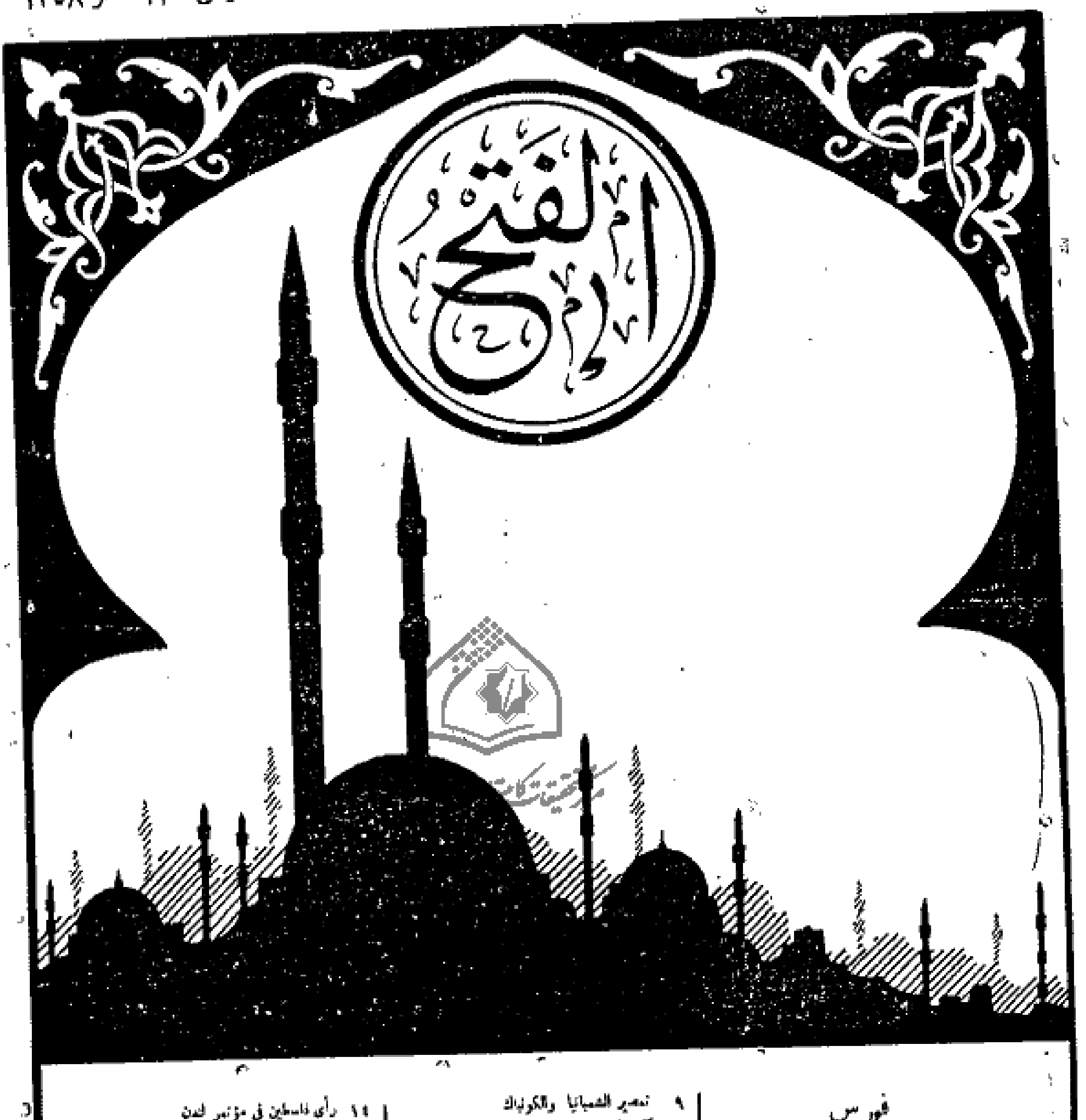
العدد ٦٤٩ (العام الثالث عشر)
الخميس: ٢٣ صفر ١٣٥٨



فهرس

البربر في العهد الاسـلامي

في الوقت الذي كانت تجري فيه حوادث الخراب بشمال افريقية ، والاضطراب يعم أرجاء البلاد ، كان النور المحمدي يشرق على بلاد العرب وما جاورها ، والهداية الاسلامية – التي تحرر الامم والشعوب من نير الظلم والاستعباد ، وربقة الجهالة والضلالة – تقترب من بلاد شمال افريقيـة ، وطلائع المسلمين أصحاب محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه يحملون تلك الهداية إلى هذه البلاد وهم على أبوابها

وقد علمنا من الفصل السابق أن البربر لم يتأثروا بأي أمة استحوذت على أوطانهم ، الا ما كان من أثر مدنيـة قرطاجنة الفينيقية الاولى . أما الرومان ، والوندال ، والبزانطيون فقد ذهبوا وبقى البربر هم دون أن يقتبسوا منهم جميعا شيئا يذكر . واذا أمعنا النظر في كل هذه الاطوار فانا نجد البربر ينزعون الى الحرية والاستقلال في جميعها منذ الدور القرطاجني الأول ، اذ أخذوا منه صنعة الحكم والادارة والنظام ، ولم تتأثر أحوال البربر بين عدامم بل حافظوا على لغتهم وأخلاقهم وعوائدهم . وقد ادّعى بعض الكتاب أن البربر اقتبسوا من الرومان نظام الحكم والادارة ، ولكني أرى ذلك من العهد القرطاجني الفينيقي

ولما جاء العرب الى بلاد شمال افريقية يحملون الهداية المحمدية ولواء العدل كانت قبائل البربر على شيء من الاستقلال تحت نفوذ الرؤساء في كل قبيلة . ويبدو من دراسة وضعهم يومئذ أن بلاد برقة وطرابلس من الحدود المصرية كانت لواتة فزاتة فنفوسة فهوارة . ثم تونس – افريقية يومئذ – فيها يفرن ، ونفزاوة وبعض زناتة . ثم قسنطينة : فيها بعض نفزاوة وصنهاجة وبعض زناته وكتامة في الشمال وفي الجنوب : جراوة ويفرن ومغراوة وبعض زناته هم ورفلة وبني واسين . وفي الجزائر ووهران صنهاجة وزناتة والمغرب الأقصى كل قبائله صنهاجة تقريبا . وبين البحر والاطلس وسوس تسكن قبائل مصموده . وبين السوس ووادي الدرعة تسكن قزولة ولمطة . وفي وسط الصحراء الكبرى ووادي الدرعة ونهر النيجر تسكن قبائل الملثمين ومنها الطوارق

قصد المسلمون الى شمال افريقية بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان تحت امرة عبد الله بن سعد ، وكانت قرطاجنة لا تزال على بقية من الحكم الرومي البزنطي ، ورئيس الحكومة يومئذ غريغوار – يسمى عند العرب جرجير – وهو وال من قبل الروم على المغرب فلما بلغه خبر قدوم العرب هاله الامر واشتد عليه الخطب ؛ ونحن نعلم أن ظهور الدولة الاسلامية وامتداد سلطانها الى الاقطار كان يومئذ حديث الامم ، وكانت هيبتهم تملأ القلوب في كل ناحية ، ولا سيما عند ما تتحرك اليها القوات الاسلامية ، مصداقا لقوله ﷺ « نصرت بالرعب مسيرة شهر » . فاستعد الروم للقاء المسلمين وجمعوا معهم فرقا من البربر الخاضعين لهم ، وساروا للقاء المسلمين في جموع تبلغ ١٢٠ ألفا في بعض الروايات ، وكان المسلمون ٢٠ ألفا أي سدس عدد الروم والبربر . ولما التحم الفريقان كانت الغلبة للمسلمين في أول موقعة قرب يعقوبة ، فانهزم الروم والبربر وفتحت مدن طرابلس ومدن أواسط المملكة التونسية المسلمين ، فتحصن الروم بمدينة سبيطلة وكانت من أشهر المدن بالمملكة التونسية يومئذ ، ففتحها المسلمون عنوة أيضا ، فكان هـذا الفتح العظيم كافيا للرعب العام البالغ الى بيزنطة . فلما اتجه المسلمون الى قرطاجنة تيقن الروم أن الهزيمة عليهم لا محالة ، فبادروا الى الصلح على أن يرتحل العرب من البلاد ، فاشترط القائد العربي أن يدفع الروم مبلغ مليونين ونصف من الدنانير ذهبا فرضي الروم والبربر بدفع هذا المبلغ على فداحته ، ولما تسلمه قائد جيش المسلمين كرّ راجعا الى مصر موفيا بوعده . فكانت هذه غلطة منه حتى قال سيديو : لو كان القائد خالدَ بن الوليد ، أو الزبير بن العوّام ، أو عمرو بن العاص بدل عبد الله بن سعد لما فعل أحدهم هذا . والذي يبدو لاول وهلة أنها غلطة سياسية عظمى ، الا أني أرى للقائد العربي وجها رآه ، ولعله نظر الى ما روى من أمير المؤمنين عمر أنه كتب الى عمرو بن العاص حين فتح سرت – برقة – وطرابلس وعزم على فتح افريقية : « انها ليست بافريقية ، ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيتُ » أو لعله لما رأى هذا

الفتح المبين قد أثر فى الروم والبربر ، وأنهم لا محالة سيعيدون الكرة بعد جمع جموعهم ، أراد أن يجدد للمسلمين قوتهم باضافة قوة اخرى اليها أثناء استعداد الروم ، وذلك أشد لأزرهم وأضمن لنجاحهم واستمرار الفتح دون أن يخاطر بالبقية من المسلمين على على قلتهم . أما أن يكون رجوع القائد لمجرد أخذ المال كما ادعى كتاب من الشانئين فأستبعده عن اولئك الكبار من الصحابة الذين لم يكن لهم مقصد غير نشر الهداية المحمدية ، وما كانت الدنيا تساوى عندهم جناح بعوضة

ومن المهم هنا أن أذكر حادثة جليلة تدل على حال البربر مع العرب الفاتحين ، وذلك ما أقصد اليه ، وذلك أنه لما فتح الله للمسلمين بطرابلس جاء وفد من البربر من نفوسة محلقى الرءوس واللحى الى عمرو بن العاص فأسلموا وقدموا له خضوع نفوسة واسلامها ، فأرسل عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين هذا الوفد ، فسر به ورده الى قائد المسلمين ليجعله فى مقدمة رجال الجيش فكانوا على أشد ما يكون المجاهد تضحية فى سبيل الله وعونا على الفتح وصلة بالبربر

واستمر فتح المسلمين بعد انقضاض الروم والبربر وتجديد الحملة العربية تحت امرة معاوية بن خديج والى مصر بأمر الخليفة الثالث ، ثم تحت امرة عقبة بن نافع الفهرى أعظم قائد عرفه المغرب ، حتى استولى على جميع افريقية الشمالية الى المحيط ، وأسس المسلمين عاصمة القيروان ، وانتشر الاسلام بين البربر دون مقاومة تذكر لولا الروم

يقول الطبرى فى حق البربر : «اجتمعوا على الاسلام وحسنت طاعتهم » . وقال « فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم الى الى زمان هشام بن عبد الملك ، أحسن أمة اسلاما وطاعة » . هذه حال البربر فى تلك المدة ، لولا ما وقع من كسيلة من الارتداد فى هذه الفترة من الزمن ، فثار وأثار معه جمعا كبيراً من البربر ، فأخضعوا ثانيا ، وأسلم كسيلة بعد أن عاد عقبة بن نافع الفهري الى ولاية افريقية ، وكان عزله معاوية . وفى هذه المدة عزم عقبة على أن يجعل البلاد كلها مسلمة ولا يترك للشرك فيها مجالا ، فاكتسح بلاد المغرب حتى بلغ المحيط فأدخل فرسه البحر وقال : « يارب محمد ، لولا هذا البحر لانطلقت فاتحا حتى لا أبقى فى الأرض من يشرك بك » . ثم نزل إلى السوس الأقصى وأخضع كل مقاومة هنالك . وهذه أول مرة حصل فيها من البربر ردّة . ولعل عقبة كان حانقا على كسيلة ، فاشتد فى مؤاخذته على طاعة دينار غلام مسلمة بن مخلد والى مصر على ما قيل ، فانتهز فرصة قفر وهو يضمر الشر للعرب انتقاما لنفسه ، فاذا بكسيلة يهاجم عقبة فى جموع من البربر أحاطت بهم من كل صوب ، إذ ذاك ابتهل عقبة هو ومن معه الى الله فصلوا ودعوا ثم هجموا على جموع كسيلة ، فاستشهد عقبة ومن معه من المسلمين ، وذلك قرب جبل أوراس بين قرية تهودا ومدينة سيدى عقبة وبه سميت وهذه هي الردّة الثانية للبربر

وقد تقدم أنه بقى للروم بقية فى شمال تونس وشرقيها ، فلما ثار البربر هذه المرة وأخذوا يستردون البلاد من العرب حتى حل كسيلة بالقيروان ملكا للبربر ، والروم فى مملكتهم الباقية لهم حتى استردوا قرطاجنة ، بقى البربر مستقلين خمسة أعوام بالملك ، ثم فاجأهم أحد عظماء القواد العرب (زهير بن قيس) فالتقى بكسيلة فى موقعة حاسمة انشبت قرب نهر مجردة عند قرية سبيبة ، فقضى زهير على ملك البربر ومن معه من بربر وروم وسائر المسيحيين وقتل كسيلة وتفرق جمعه ، فاستعاد البربر ومن معهم تحت إمرة امرأة عصامية هي المعروفة بالكاهنة قيل اسمها دحية بنت ثابت وانها اسرائيلية . ولما جمعوا جموعهم وتمركزوا عند جبل آوراس أدرك القائد حسان بن النعمان بثاقب فكره أن الفساد آت من ناحية ملك الروم ، فاتجه إلى القضاء على كل أثر لهذه المملكة فى شمال افريقية والى توحيد البلاد تحت ادارة واحدة وعاصمة واحدة هى القيروان ، فكان له ما أراد ، حتى ان فلول الروم تحصنوا ببنزرت انتظاراً لنجدة بزنطية ، فلما جاءتهم قصدوا قرطاجنة فاذا هى خراب بلقع ، فنكصوا على أعقابهم من حيث أتوا وامتطوا غوارب البحر عائدين نهائيا الى أوربا . ولم يبق أمام حسان بن النعمان إلا الكاهنة وكانت تتجنب ملاقاته فى موقعة حاسمة ، لكنه ألجأها الى ذلك فوقعت جريحة جرحا مميتا ، وقابلت القائد حسان وأودعته ولديها وأوصته بهما وأوصتهما بالاسلام ، وخضع البربر نهائيا للاسلام

الى هنا يجب أن نعلم أن سبب ردة البربر أولا دسائس الروم

(البقية على الصفحة ٢٠)

البربر فى العهد الاسلامى

(تابع المنشور على الصفحة ١٧)

وسائر الاجانب ، ثانيا أن البربر كانوا حديثى عهد بالاسلام فأثرت فيهم النعرة القومية التى كان يحركها كسيلة . هذا كل ماوقع من الارتداد فى البربر . أما ما بدا من البرغواطية من الضلال – وهو ضد الاسلام طبعا وردة عنه – فانه جزئى فى ناحية البلاد ، ولا صحة لما زعمه أصحاب دائرة المعارف الاسلامية من المستشرقين من أن البربر ارتدوا من الاسلام اثنتى عشرة مرة فان هذه دعوى منتحلة للغاية يضمرونها وهى الزعم بأن البربر لم يتأثروا بالاسلام وتشريعه وبالقرآن الا بمقدار تأثرهم بالنفوذ العربى ، وهذه دعوى هانوتو ، وهى ترمى الى أن العنصر البربرى يباين العنصر العربى فى الجنس والعقلية ، وهو ما يدحضه التاريخ ، فان العقلية البربرية لم تمتزج بأمة من الامم بمثل ما امتزجت بالعرب منذ جاء الاسلام الى يومنا هذا ، وقد أخلص البربر الاسلام أكبر اخلاص ورسخ الاسلام فيهم رسوخا ما ابتغوا بعده به بديلا ولم يستطع أى باحث أن يجد تباينا بين البربر والعرب بعد أن أدركوا حقيقة الدين الاسلامى ، لا فى اعتقادهم ولا فى أحكامهم ، وهم لم يقبلوا الاندماج فى أمة من الامم التى اكتسحت شمال افريقية بل امتازوا عنها بأنفسهم وعوائدهم واستقلالهم ، حتى اذا جاء العرب بالاسلام فدخلوا فى دين الله أفواجا وتبنوه دينا قوميا وهداية الى الله اندمجوا بالعرب وامتزجوا بهم فى كل شىء ، وانظر الى الروم الذين استولوا على البلاد ستة قرون ، انهم لم يتركوا فى البربر أثرا ، بل بذهابهم ذهب كل شىء منهم معهم ، وأولئك الوندال حاولوا بلع البربر بالقوة الغاشمة ، والفظائع الهائلة فابتلعهم البربر ، وهكذا كل أمة جاءت بلاد البربر ، ما عدا العرب . فلولا اتحاد العقلية والعنصر لما حصل هذا الامتزاج بعد مضى أقل من قرن من دخول الاسلام حتى أصبح العرب والبربر أمة واحدة يجمعهما دين واحد وأخلاق واحدة وتعتصم بكتاب واحد هو القرآن الكريم ولهم قبلة واحدة هى الكعبة المشرفة ونبى واحد وهو محمد رسول الله ﷺ

ان الاستعمار الفرنسى لم يستطع فى بحر قرن ونيف أن يفرق بين العرب والبرابر ، ولا يمكن ذلك ، لأنه خلاف الوضع الطبيعى . ولم تفد فى ذلك قساوة الاستعمار ، ولا أضاليل المبشرين ، ولا ارهاق البلاد ، ولا الارهاب ، ولا أى وسيلة من الوسائل ، وإنما ذلك يزيد هذين العنصرين الاسلاميين اتحادا والتئاما وادراكا للخطر الذى يقضى عليهما جميعا . ولقد رأينا المؤرخ الكبير سيديو يقول : ورأينا عددا كبيرا من العرب يبادرون إذ ذاك بلادهم قاصدين افريقية لأجل الكسب ، وهناك

يبثون القانون المدنى الاسلامى . وكان البربر مثل العرب يحبون الاستقلال ، وكانوا معا رحالة متجولين ، ولكلا القومين ميول واحدة وعواطف واحدة : اشتركا فى حب الشرف والفخر وتعشق الحرية واحترام الضيوف واكرامهم ، وان هذا الاشتراك فى العواطف والأخلاق قد كسر الحواجز التى لم يستطع اختراقها لا الرومان ولا الوندال ولا الروم ، وأصبح البربر أشد أعوان الجند الاسلامى » . وقال بيرونيت وما أحسن ما قال : « عاش العرب والبربر جنبا الى جنب قرونا عديدة وشاركوا – بصفة عامة – فى مدنية واحدة ، والمدنية التى ازدهرت بهذه البلاد كانت مدنية قوم شمال افريقية لا مدنية خاصة بأحد العنصرين ، وقد كان لهؤلاء الافريقيين الشماليين شعراؤهم ومؤرخوهم وفلاسفتهم ورجال القانون والتشريع ، وكان لهم فنهم الخاص الذى يمكن أن يكرهه بعض الناس ولكن لا يمكن لأحد أن ينكر وجوده » هذا ما يقوله كل من تجرد من الميول الاستعمارية ومحاربة الاسلام ، أما أصحاب دائرة المعارف وأمثالهم ممن لم نورد أقوالهم فهم لم يتخلوا عن ميولهم الاستعمارية أو سوء القصد الى الدين الاسلامى ، كما يجرى الآن فى البلاد من رجال حكم وولاة لدولة ديمقراطية علمانية لا شأن لها بالدين فيما تقول ، ومع ذلك رأينا ما يرتكبه أولئك الولاة من عسف وما يأتيه المبشرون على مرأى ومسمع منهم ، وما يسنونه من قوانين لا شك فى أنهم يريدون بها القضاء على الكتلة المحمدية ، ثم يعيبون مثل ما يأتون على الديكتاتورية وهم قدوتها . وما هو برنامج فيوليت الوالى العام السابق بالجزائر يا ترى ؟ هو عين ما فعله موسولينى بطرابلس . الا أن الاول جاء به مجملا والثانى مفسرا ، والاول لم يجد سبيلا الى تطبيقه قانونا ، بخلاف الثانى فقد أصدر قرارا بتطبيقه . على أن مضمون برنامج

فيوايت يجرى فى البلاد الجزائرية بأساليب الاحتيال، وفي المغرب الاقصى بالقوة والغلبة وضروب العسف الفظيع. وكانا على ذكر من الظهير البربرى الذى تقيم جمعية الشبان المسلمين في يوم ١٧ مايو من كل سنة اجتماعا ترسل منه احتجاجا صارخا على الاستعمار الفرنسى بسببه، فليتنبه المسلمون الى ما يُضمر الاسلام بشمال افريقية، وما الاهوال التى حلت بالاندلس من الطرف الآخر المقابل لبر العدوة ببعيدة

أبو اسحاق

هل ذهبت ألبانيا ضحية مؤامرة؟

قالت (المقطم) يوم الاحد الماضى:

« ان احتلال ألبانيا قد لا يكون مفاجئا فى الواقع، بل ليس من العسير أن يكون هناك اتفاق سابق عليه، أو علم سابق به على الاقل. ولا نقصد هنا اتفاق ايطاليا وألمانيا، فان ذلك أمر لا ريب فيه، ولكننا نقصد أن يكون بعض الدول الديموقراطية قد وقف على نية ايطاليا وأغمض العين عنها تعمداً ... ولم لا؟ ألم تطالب ايطاليا من فرنسا أن تعطيها تونس وجيبوتى، فردت فرنسا عليها بأنها لا تتنازل عن شبر من أرضها، فلماذا لا تكون ألبانيا كبش الفداء، والعوض الذى يقدم لايطاليا أرضاء لها؟ »

(الفتح) ما دامت ألبانيا بلاداً اسلامية وملكها مسلم فان لها اعتباراً آخر فى نظر كلا المتعادين والمتعاونين من حكومات أوربا

صحيفة أخرى باسم (الفتح)

جاءتنا من بغداد صحيفة أصدرها الفاضل الاستاذ السيد جلال الحنفى واختار لها اسم (الفتح)، ونحن نشكره على استحسانه هذا العنوان، ونرجو لصحيفته الترقى والنجاح: ولما كان الغرض من تسمية الصحف التمييز بينها ورد كل بضاعة الى أهلها، فقد كنا نرى أن فى العربية ولغتها والاسلام وذكرياته متسعا لاختيار عشرات الاسماء المحبوبة. ونعود فنتمنى للفتح الثانية أن تكون أطول من اختها الاولى باعا فى خدمة الاسلام، وأثبت خطى فى سلوك الطريق الواضحة. ومن الله التوفيق

مصانع مصرية للاسلحة الصغيرة

سيطرح فى مناقصة عامة فى مصر والخارج مشروع انشاء مصنع في ضاحية امبابة لانتاج الاسلحة الصغيرة يقام على أرض مساحتها مئة فدان استولت عليها وزارة الدفاع أخيرا، وينتج بنادق المشاة والحراب وقرابها ومدافع الفيكرز ومدافع لويس والغلاف النحاسى للذخائر والرصاص اللازم لهذه الذخائر

ومصنع ثان على بعد ٣ كيلو مترات من مصنع امبابة لتعبئة وتركيب الرصاص والكبسول

ومعمل نموذجى للفحص الكيماوى والمعدنى والتجربة البنادق والمدافع للتحقق من صلاحية نتاج الصنفين الأول والثانى

ومصنع المفرقعات فى مديرية (بنها) يقام على أرض مساحتها ٦٠ فدانا لانتاج المواد المفرقعة اللازمة للذخائر

ويعرض موضوع انشاء هذه المصانع على مجلس الوزراء لاقراره عقب فراغ معالى وزير الدفاع من درس المواصفات التى يطرح بمقتضاها المشروع فى مناقصة دولية

وقد رأى الفنيون العسكريون بوزارة الدفاع أن تركيز هذه الصناعات الحربية فى مكان واحد فيه بعض الخطر فى حالة الحرب مما يؤدى الى تعطيل الاعمال فيها فى الوقت الذى تشعر فيه الدوائر العسكرية بحاجتها الى زيادة الانتاج: لهذا يفكر ولاة الامور فى مشروع اقامة مصنع آخر للذخيرة في جهة الاسكندرية ليمول امداد القوات العسكرية الساحلية والقوات المرابطة على الحدود الغربية بمنتجاته. ولا يزال هذا المشروع قيد الدرس

هل يعطون الاسكندرونة لتركيا

فى مقابل فتحها مضايق الدردنيل لهم

فى برقية الى شركة استفانى من باريس أن المسيو بيو مندوب الدولة الفرنسية فى الشام وصل الى باريس قادما من انقرة، ويظهر أنه وضع شروط التنازل من الاسكندرونة وانطاكية للترك ولكن تركيا لا تزال تبدى صعوبات أمام فتح مضايق الدردنيل للاسطولين الفرنسى والبريطانى